

المُفْتَرِضُونَ

بَيْنَ الاعْذارِ عَنْهُمْ

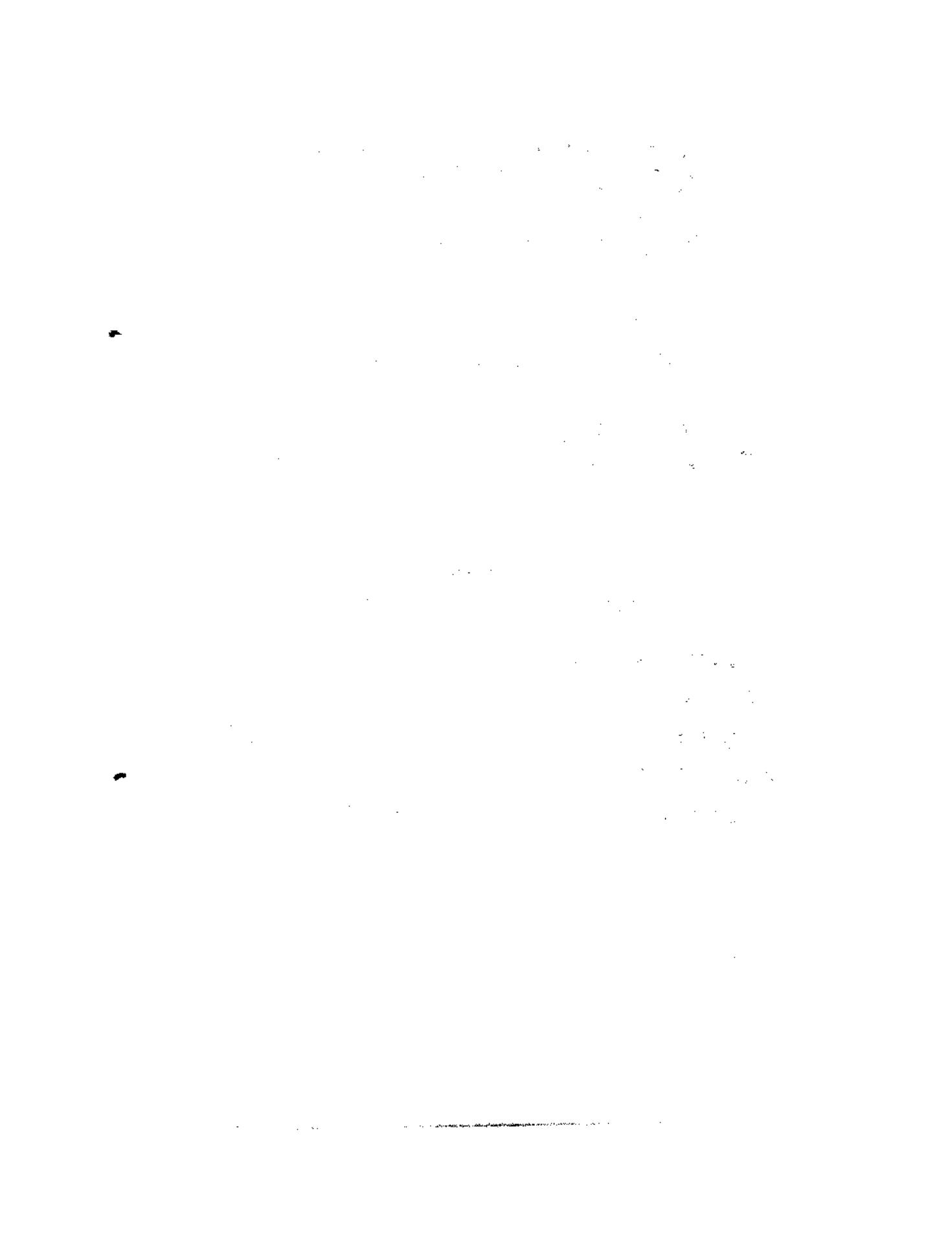
وَضُرُورَةِ نُقْيَةِ كُلِّهِمْ مِنْ لِاسْرَائِيلَاتِ

إعداد

الباحث

الباحث

محمد عبد الله حيانى	سليمان بن صالح القرعاوى
استاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم	استاذ القرآن وعلومه المساعد بقسم
الدراسات الاسلامية بكلية	الدراسات الاسلامية بكلية
التربية - جامعة الملك فيصل	التربية - جامعة الملك فيصل
الاحساء - المملكة العربية السعودية	الاحساء - المملكة العربية السعودية



قصيدة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد :

فقد كانت القصة ولم تزل في حياة ابن آدم عبر تاريخه عاماً
هاماً في توجيهه نحو الصواب وسبباً في تسليته مما يعانيه من ظروف
حياته حيث يجد فيها الملوان والمنشط نحو العمل الجاد كلما كمل
أو فتر وهي العضة والعبرة الموقظة لقلبه وفكرة إذا غرق في غفلته
عن ربه وعن واجبه نحوه ، لذلك لم يغفلها القرآن الكريم فجعل لها
قسطاً وافراً بين دفتيره فتحدث فيها عن كثير من الأمم السابقة وأشهر
تلك الأمم أمّة بنى إسرائيل ، والمعلوم أن أسلوب القرآن الكريم ليس
أسلوب المؤرخ المنهج في ذكر الحوادث وإنما هو رسالة تشريعية
هادفة جعلت القصة سبيلاً للوصول إلى الده فالمنشود لذلك اقتصر
منها على الشاهد فربما أسهب فيها أو أوجز فيها حسب مقتضي الحال .

ولما رأى الصحابة الكرام أطراف القصص القرآنية تطلعوا إلى
معرفة الصورة المتكاملة لذلك القصص الحق ، فكانوا يسألون رسول
الله ﷺ عنه أحياناً ويسائلون أهل الكتاب ممن دخلوا في الإسلام
عندهم علم بكتب الأمم السابقة أحياناً أخرى وذلك بعد أن أذن النبي
ﷺ للصحابية بالسماع منهم والحديث عنهم ، وكان ذلك بعد زوال
المذور ، وهو خوف اختلاط تلك الروايات عن بنى إسرائيل بالأحكام
الشرعية ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى إسرائيل

ولا حرج) ، غير أنه نشأ عن ذلك - بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم - توسع في رواية القصة الاسرائيلية كيما انتهز بعض المغرضين الفرصة فوضعوا روایات باطلة وحاولوا ترويجهما ولكن سرعان ما نبهه عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم بكل يقظة ونباهة إما تصريحا وإما تسجيلا لها ضمن تفاسيرهم لكتاب الله العزيز على نحو ما انتهجوه آنذاك وتعارفوا عليه من تسجيلها لأهل زمانهم كي لا يغتروا بها لو رأوها في كتب أهل الكتاب أو سمعوها منهم ، لأن تسجيلها في كتب التفسير من مفسر معروف بعadalته وضبطه وفضله وحرصه على الإسلام دليل على أنه إنما سجلها أزاء الرواية الصحيحة ليميزها ، وأما المفسر المعروف بالتشاهل بالكذب فإن تسجيله لها دليل على ترويجهما وليس على سبيل التتبع عليهما ، بل أصبح لا يتميز عنده بالباطل من الصحيح وهذا أمر معروف لديهم في تلك العصور ، وفي هذا العصر سمع المثقف المعاصر بعض المتخصصين أو قرأ عنه عبارات عن المفسرين يفيد ظاهرها الانكار المطلق عليهم لدخولهم الاسرائيليات ، ومن تلك العبارات (أن فلانا من المفسرين حشا تفسيره من الرواية الاسرائيلية) أو (أن المفسر الفلاني شحن تفسيره من الاسرائيلية) أو (أن فلانا من المفسرين ملا تفسيره من الاسرائيلية) وإن كان التقييد عند القائل مرادا ضمنا أو سبق بيانه له ، لكن غير المتخصصين عندما يسمعون أو يقرأون مثل هذه العبارات المطلقة يستد تكيره على المفسرين دون تمييز دون أن يعرف السبب والمنهج المتبعة آنذاك ، وهذا موقف له سلبياته حالاً ومستقبلاً على تاريخ سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - فأنتم كانوا وما زلتم القدوة الحسنة لكل من جاء بعدهم علماً وعملاً والحال

قد صنعوا كتبيهم لأهل زمانهم ، وأهل عصرهم يختلفون اختلافاً كبيراً
عن أهل هذا العصر علماً و عملاً .

لذلك أحببنا القيام بكشف النقاب عن حقيقة الأمر في هذا
البحث المتواضع كي يطلع المثقف على الأسباب والمسوغات التي دفعت
المفسرين لإدخال تلك الروايات في تفاسيرهم وبعد ذلك يعذر سلفه
الصالح ويستمر في اقتداء أثراهم دون شك وارتياه ، كما علينا أن
نهيئ له التفسير المناسب لظرفه العلمي كي يفهم كلام الله عز وجل
دون عائق أو تردد .

هذا وفقاً اقتراحنا أن تكون خطة البحث على النحو التالي :

- ١ - المقدمة .
- ٢ - تعريف الإسرائييليات .
- ٣ - أنواعها وحكم رواية كل نوع .
- ٤ - كيف تسربت الإسرائييليات إلى كتب التفسير .
- ٥ - موقف علماء السلف والفكر المثقف المعاصر من وجود الإسرائييليات
في كتب التفسير .
- ٦ - نوع التفسير الذي دخلته الرواية الإسرائييلية .
- ٧ - النسبة المئوية للإسرائييليات الباطلة في كتب التفسير .
- ٨ - من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه .
- ٩ - ضرورة الاعتذار .
- ١٠ - ما يمكن أن يعتذر به .
- ١١ - تنبهات .

١٢ - ضرورة تنفيذ كتب التفسير من الإسرائيликـات الباطلة .

١٣ - الأسلوب الأمثل في تنفيذ كتب التفسير من الإسرائيликـات الباطلة .

١٤ - الخاتمة .

١٥ - الفهرس .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



٤ - المبحث الأول

(١) تعريف الإسرائييليات :

الإسرائييليات : جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل ، وهو لقب يعقوب عليه السلام ، قال :

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله : إسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام ، ثم استدل بما أخرجه أبو داود الطيالسي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال : حضرت عصابة من يهود نبي الله عليه السلام فقال لهم : هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال النبي عليه السلام : اللهم اشهد (١) . هـ

وانما لقب يعقوب عليه السلام بهذا اللقب فيما روى أنه لما هرب من أخيه العيس ، كان يسرى بالليل ويكتن في النهار لذلك لقب بإسرائيل (٢) .

وقيل : إن إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (اسرا) بمعنى عبد أو صفوة ، ومن (ايل) وهو الله فيكون معنى إسرائيل على ذلك « عبد الله » (٣) ويفيد هذا المعنى ما حكاه الحافظ ابن كثير عن ابن

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٤/١

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبوري ٣١٧/١ ، وال الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٢٦/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٦٧/١

(٣) انظر : بنو إسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوي ص ١٨

عباس رضي الله عنهمما قال : إن إسرائيل كقولك : عبد الله (٤) .

هذا عن أصل الكلمة (الاسرائيليات) ، أما المراد بها عند الأطلاق فهو ما نقل عن بنى اسرائيل من أخبار سواء من كان منهم من عهد ميدنا موسى عليه السلام ، أو من عهد داود عليه السلام ، أو من عهد عيسى عليه السلام ، لأن عيسى أرسل إلى بنى إسرائيل ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك ، قال الله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أني قد جئتكم يآية من ربكم » (٥) ، « وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم » (٦) ، وبذلك يدخل في الاسرائيليات كل ما جاء عن كتبهم الماضية من التوراة والزبور والإنجيل .

ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري بسانده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبواهم ، قولوا آمنا بالله وما أنزل » (٧) فقوله عليه الصلاة والسلام : (لا تصدقوا أهل الكتاب) المراد بهم أهل الكتب السماوية السابقة منذ عهد موسى إلى عهد عيسى عليهما السلام لأن اللفظ مطلق غير مقيد

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ١/٤٤ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .

(٦) سورة الصاف : الآية ٥

(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا) : انظر فتح الباري لابن حجر ٨/١٧٠ .

بجماعة معينة من بني إسرائيل^(٨) .

وقوله عليه السلام : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »^(٩)
المراد من بني إسرائيل هم الذين نزلت فيهم الكتب السماوية السالفة
الذكر .

بعد هذا نخلص إلى أن الإسرائييليات ، هي الأخبار التي وردت
من أهل الكتاب سواء عن طريق كتبهم أو ما تناقلوه مشافهة ، وسواء
في ذلك اليهود أو النصارى ، وإن غلت أخبار اليهود كثرة على
أخبار النصارى ، والله أعلم .

قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله : ولفظ الإسرائييليات
وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية
يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل
من القصص اليهودية فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى
التفسير والحديث من أساسيات قديمة منسوبة في أصل روایتها إلى
مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما ، بل توسيع بعض المفسرين والمحدثين
فعدوا من الإسرائييليات مادسة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير
وال الحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم وإنما هي أخبار من
صنع أعداء الإسلام صنعواها بخيث نية وسوء طوية ثم دسواها على
التفسير وال الحديث ليفسدوها بها عقائد المسلمين كقصة الغرانيق وقصة
زينب بنت جحش وزواج الرسول عليه السلام منها .

(٨) انظر : فتح الباري لأبن حجر ٣٣٥/١٢ .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،
انظر : فتح الباري ٤٩٦/٦ .

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائييليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غاره ، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي (١٠) ١٠ هـ .

٣ - أنواع الإسرائييليات وحكم رواية كل نوع

إن مجلد الروايات الاسرائيلية تنطوي تحت أنواع ثلاثة :

أولها : ما علم صحته وذلك لموافقته أصول شريعتنا من ظاهر القرآن الكريم أو ما صح في السنة المطهرة ، ومن ذلك تعين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر ، فقد ورد في السنة الصحيحة موافقا لما جاء عن أهل الكتاب ، وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه مرفوعا في قصة لقاء موسى بالخضر عليهما السلام (١١) .

ثانيها : ما علم كذبه ، وذلك لخلافته أصول شريعتنا الإسلامية ، ومن ذلك ما ورد عن أهل الكتاب أن سليمان عليه السلام دخل الحمام فوضجع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه ، فأثاثها الشيطان ، فتمثل لها على صورة سليمان عليه السلام ، فأخذ الخاتم منها .. القصة ، ومنها : أن الشيطان كان يأتي نساء سليمان ، وهن حيض (١٢) ... فمثل هذا الخبر يتعارض مع أصل عصمة الله لأنبيائه عن كل ما يمس

(١٠) انظر : الإسرائييليات في التفسير والحديث ص ٢٠ .

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه . انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : (إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ) ١٠٠/٦ .

(١٢) انظر : الدر المنثور للمisyوطى ١/٣١٢ .

بمقام النبوة والرسالة ، فضلا عن أن العقل البشري السليم لا يصدق مثل هذا الخبر في غير الأنبياء ، فكيف بهم عليهم السلام .

ثالثا : ما هو مسكون عنه ، فلا هو واضح الكذب ولا واضح الصدق ، ولا يعارض أصلا من أصول الشرعية ولا يوافقها ، ومن ذلك : ذكر أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله عز وجل لابراهيم عليه السلام ، وتعيين بعض البقر الذي ضرب به قتيل بنى اسرائيل ونحو ذلك (١٣) .

اما حكم رواية كل نوع فانه لا يتم معرفة ذلك عن طريق الإسناد وإنما عن طريق المتن وذلك لأن مصدر الاسرائيلية إما من أفراد أهل الكتاب والحال ان الاسناد إلى أنبيائهم منقطعة ، وإما من كتبهم وكتبهم دخلها التحرير لذلك لا يتسعى الحكم عليها إلا بالنظر فى متنها فحسب ودراسته من حيث موافقته لأصول الشرعية والعقل والواقع أو عدم ذلك فإن وافقها فهو النوع الأول وإن لم يوافقها فهو النوع الثاني ، وإن لم يوافق ولم يخالف فهو النوع الثالث المسكون عنه .

اما حكم رواية النوع الأول فهو جائز الرواية للاستشهاد به فحسب ولا يتخذ حجة لأن ما فى شريعتنا غنية عن الاحتجاج به ، وعلى هذا النوع يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : « وحدثوا عن بنى اسرائيل

(١٣) انظر هذا التقسيم فى مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٠ ، ومقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١ ، والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ١٧٩/١ ، والاسرائيليات والمواضيعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ص ١٠٦ .

ولا حرج » (١٤) .

قال الامام مالك رحمه الله في معنى هذا الحديث : المراد جواز التحدث بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا (١٥) ١٠ هـ .

وأما النوع الثاني فلا خلاف في تحريم مطلقاً للقطع بتحريم الكذب في شريعتنا .

وأما النوع الثالث : فتجوز روایته لعدم ضرر الناتج عن ذلك ما دام في دائرة عدم الاحتياج به وإن كان في الأصل يحمل الصدق والكذب ، وعلى هذا يحمل قوله عليه المصلحة والسلام : « إذا حدثكم أهل الكتاب بشيء فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم » (١٦) .

وقد أوضح الإمام الشافعى رحمه الله حكم النوع الأول وهذا الأخير في معرض شرحه لقوله عليه السلام : (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) إذ يقول : من المعلوم أن النبي عليه السلام لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بنى اسرائيل ما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجذرونه - أي صدقه وكذبه وهو المسكت عنه - فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله : (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم) ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه (١٧) ١٠ هـ .

(١٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل . انظر فتح الباري ٤٩٦/٦ .

(١٥) انظر : فتح الباري ٤٩٨/٦ .

(١٦) المسند ١٣٦/٤ .

(١٧) فتح الباري ٤٩٩/٦ .

ومما تقدم يتضح أن الإمام مالكا والشافعى رحمة الله حمل قوله
بنطليون : (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) على النوع الأول ولكن
حالهما الحافظ ابن كثير فحمل الحديث على النوع الأخير المskوت
عنه فقال : هو محمول على الاسرائيليات المskوت عنها فليس عندنا
ما يصدقها وما يكذبها فيجوز روایتها للاعتبار ١٠ هـ .

ونقول إنه لا يمنع مانع من أن يحمل الحديث على النوع الأول
لوجود ما يشهد بصدقه في شرعنا وذلك لأنه إن جاز حمل هذا الحديث
وهو صريح في الإذن بالحديث عن أهل الكتاب على ما هو مskوت
عنه فحمله على ما هو واضح الصدق جائز في باب أولى . وأما ما ورد
من النهي عن الحديث عن أهل الكتاب فإنه محمول على أن ذلك الشيء
كان في صدر الإسلام خوف اختلاط الرواية الاسرائيلية بنصوص الشريعة
فلما زال المانع جاز الإذن لروایتها على نحو ما تقدم ، وقد صرخ
 بذلك الحافظ ابن حجر رحمة الله فقال : عند شرحه لحديث (وحدثوا
 عن بنى إسرائيل ولا حرج) قال : إنه كان تقدم عن الرسول ﷺ الزجر
 عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسيع في ذلك ، وكان
 النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية
 الفتنة ، ثم لما زال المحظور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار
 التي كانت في زمانهم من الاعتبار (١٨) ١٠ هـ .



٤ - كيف تسرت الإسرائييليات إلى كتب التفسير

بما أن طبيعة الرواية الإسرائييلية تعكس الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية التي مر بها بنو إسرائيل عبر تاريخهم الطويل ، فمن غير المستبعد أن تحتضنها كتب التاريخ والمغازي والملامح ، أما تسللها إلى كتب التفسير فذلك مداعاة للخسأ ، غير أن هناك أسباباً متعددة فسحت المجال لذلك . هذا وقد كشف العلامة ابن خلدون في مقدمته عن تلك الأسباب ، وسوف نسوق كلامه في ذلك ، ثم نذكر باقي الأسباب . يقول العلامة ابن خلدون ما نصه :

« والسبب في ذلك - في دخول الإسرائييليات كتب التفسير - أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدع الخليقة ، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفیدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدین اليهود ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملامح وأمثال ذلك ، مثل كعب الاخبار ووهد بن منبه وعبد الله ابن سلام وأمثالهم ، فامتلاط التفاسير من المنقولات عنهم في أمثال هذه الأغراض أخباراً موقوفة عليهم ، وليس ما يرجع إلى الأحكام فتحرر في الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل

ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البداية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتم ، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقن بالقبول من يومئذ (١٩) ١٠٠ هـ

بعد هذا يتضح أن ابن خلدون رجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية ، وأخرى دينية ، فعد من الاعتبارات الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب ، وتشوقهم لمعرفة ما تنشق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، وإنما يسألون في ذلك أهل الكتاب مثلهم .

– كما عد من الأسباب الأمية الدينية التي سوغت لهم تلك المرويات في تساهل وعدم تحرر الصحة .

« أن هذه المقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام ، لذلك لا تحتاج إلى تحرر الصحة فيها » (٢٠) ١٠٠ هـ

وقال الإمام يحيى بن سعيد القطان : تساهلو – المحدثون – فيأخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث (٢١) ١٠٠ هـ

وقال الإمام أحمد بن سيار المروزي في جوير بن سعيد كان من أهل بلخ وهو صاحب الضحاك وله رواية ومعرفة بأيام الناس ، وحاله

(١٩) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٩ .

(٢٠) انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي ١٧٨/١ .

(٢١) تهذيب التهذيب ١٢٤/٢ .

حسن في التفسير وهو لين في الرواية - أى الحديث - (٢٢) ١٠ هـ .

— ومن أسباب ذلك أيضاً أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون لغة القرآن عندما يسمعونه من رسول الله ﷺ بفطرتهم اللغوية، غير أن هناك أموراً تبقى محلسؤال مما يحتاج إلى توضيف وخاصة فيما يتعلق بالقصص القرآنية الذي تحدث عن بنى إسرائيل بايجاز ، فكانوا يسألون عنه رسول الله ﷺ ، وأحياناً يجدونه عند أهل الكتاب باعتبار قرب أهل الكتاب منهم ، ومختلطتهم لهم في المدينة ، علماً أنهم لم يخالفوا رسول الله ﷺ في نهيه لهم أن يسألوا أهل الكتاب فيما يتعلق بالأحكام والعقائد حتى ولم يتسعوا في السماع منهم والحديث عنهم ، وهذا الأمر يكشف عن مدى الصلة بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة ، غير أن القرآن الكريم تميز ببايجاز ، وتميزت تلك الكتب بالاطناب لذلك كان فيها شرح وتفصيل لما أجمله القرآن من قصص السابقين .

— ومن الأسباب أيضاً أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتفرغوا التفرغ الكامل لرواية ما سمعوه من النبي ﷺ مما يتعلق بالقصص القرآنية، ولا ما سمعوه من وثقوها بهم من أهل الكتاب ، وذلك نظراً لأنشغالهم بالجهاد والفتحات ، لذلك لما جاء دور التابعين وقرأوا القرآن احتاجوا إلى السؤال ، ولما لم يجدوا من الصحابة من يجيبهم على الوجه الاتم أحياناً ، عندئذ لجأوا إلى أهل الكتاب من دخلوا في الإسلام ، فكان التابعون يسألونهم عن

تفصيل جميع ما اجمله القرآن الكريم من قصص بني اسرائيل (٢٣) .
لهذا كله دخلت الاسرائيليات كتب التفسير وانتشرت فيها .

٥ - موقف علماء السلف والفكر المعاصر من وجود الاسرائيليات في كتب التفسير

ان منهج علماء السلف الصالح رضى الله عنهم تحرى الدقة في التقييم والدراسة والتحليل والنقد ، فللاطلاق موضع وللتقييد موضع آخر وهكذا الامر في الخاص والعام فلا يستعملون الاطلاق في موضع التقييد ولا التخصيص في مقام العموم ولا العكس ، وقد نظروا الى الاسرائيليات من حيث هي فرأوا القرآن الكريم قد حوى قسطاً كبيراً من قصص بني اسرائيل ، لأن القصة من أهدافه وهي ترسیخ العظة والعبرة في قلب القارئ والسامع ، قال الله تعالى : « لَقَدْ كَانَ فِي قُصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَّوْلَى الْأَلْبَابِ » (٢٤) ، وقال تعالى : « فَاقْصُصُ الْقَصَصَ لِعَلَمِهِمْ يَتَفَكَّرُونَ » (٢٥) كما رأوا ان السنة الثابتة قامت بدورها باستخدام القصة الاسرائيلية لنفس الهدف والغرض وذلك كحديث الثلاثة من بني اسرائيل الذين آتوا الى خار فانسد عليهم باب الغار .

وكمديث الرجل من بني اسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وكمديث الابرص والاعمى والاقرع . ونحو ذلك كثير ، وهذا يدل على أهمية دور الرواية الاسرائيلية . لذلك لما رأى علماء السلف

(٢٣) انظر : الاسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة : ص ٤٧ .

(٢٤) سورة يوسف : الآية ١١١ .

(٢٥) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

ما يأتي عن أهل الكتاب موضحاً للقصة القرآنية وموافقاً لأصول الشريعة من الكتاب والسنة قبله وروروه للناس على سبيل الاستشهاد وقد سبق اذن النبي ﷺ لهم في ذلك وكذا فعلوا فيما هو مسكون عنده مع التوقف في الاستئناس به ، وأما ما خالف ذلك فلم يقبلوه وعابوا على كل مفسر ادخله تفسيره دون أن يتباهى على بطلانه وكذبه ، ولم يطقو القول في تحريم الاسرائيلية من حيث هي ، كما لم يلقو باللائمة مطلقاً على كل من أدخلها تفسيره على خلاف ما نسمعه اليوم من الاطلاق في ذلك .

قال العالمة ابن القيم رحمه الله : من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق ، وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى إنما العجب من يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره (٢٦) ١٠ هـ .

وقال الحافظ ابن كثير : وما شهد له شرعاً منها بالبطلان فذاك مردود ولا يجوز حكايتها إلا على سبيل الانكار بالباطل (٢٧) ١٠ هـ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي والملاحم والتفسير .

وقال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله موضحاً قول الإمام أحمد: وهذا الكلام محمول على أن المراد بكتاب مخصوصة في هذه المعانى الثلاثة غير معتمد عليها الا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفتها وعدم عدالة ناقليها وزيادة القصاص فيها (٢٨) ١٠ هـ .

(٢٦) التفسير والمفسرون للذهبي ١/٣٦٠ .

(٢٧) البداية والنهاية ٦/٦ ، ٧ .

(٢٨) الجامع لأخلاق الراوى وأداب السامع ٢/١٦٢، ١٦٣ .

وَخَصَ الْخَطِيبُ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ : تَفْسِيرُ
السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ وَمَقَاطِلِ بْنِ سَلِيمَانَ فَقَالَ : وَأَمَا الْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ فَمِنْ أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْكَلْبِيِّ وَمَقَاطِلُ بْنِ سَلِيمَانَ ١٠٥ هـ .

وَقَدْ أَكَدَ الْخَطِيبُ هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا حَكَاهُ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْفَضْلِ
فَقَالَ : سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ عَنْ تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ . فَقَالَ : مَنْ أَوْلَهُ إِلَى أَخْرَهِ
كَذَبٍ ، فَقَيْلَ لَهُ : فَيَحْلُ النَّظَرُ فِيهِ ؟ قَالَ : لَا (٢٩) ١٠١ هـ

فَاتَّسْعَ لَنَا مِنْ كَلَامِ الْخَطِيبِ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنْ مَرَادَ الْإِمامِ أَحْمَدَ رَحْمَهُ
اللهُ مِنْ قَوْلِهِ (لَا أَصْوَلُ لَهَا) كِتَابٌ مُخْصُوصَةٌ – لَا جَمِيعُ كِتَابِ التَّفْسِيرِ –
غَيْرُ مُعْتَمَدٍ عَلَى مَا حَكَتْهُ وَقَصَّتْهُ لَأَنَّ أَسَانِيدَهَا باطِلَةٌ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى مُثْلِهَا
وَقَدْ فَسَرَ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنُ تَيْمَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ قَوْلُ الْإِمامِ أَحْمَدَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ
لَا اسْنَادٌ لَهَا لَأَنَّ غَالِبَ أَسَانِيدِ كِتَابِ الْمَغَازِيِّ وَالْمَلَاحِمِ وَالتَّفْسِيرِ
مَرَاسِيلٌ (٣٠) .

وَتَفْسِيرُ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ وَشِيخِ الْإِسْلَامِ لَا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ
الْأَسْمَىُّ هُوَ التَّحْذِيرُ مِنْ رِوَايَاتِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ أَجْمَلًا لَأَنَّهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى
أَسَانِيدِهَا ، إِذَا أَنْ مِنْهَا مَا حُشِّيَتْ بِالْكَذْبِ فَعَلَا كِتَابُسِيرِ مَقَاطِلِ بْنِ سَلِيمَانَ
وَالسَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَلَى قَوْلِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْهَا الَّتِي
أَمْتَلَّتْ بِالْمَرَاسِيلِ ، وَالْمَرْسَلُ ضَعِيفٌ عَلَى تَاوِيلِ شِيخِ الْإِسْلَامِ رَحْمَهُ اللَّهُ،
وَكُلُّ ذَلِكَ يَنْبَهُنَا إِلَى أَنَّ الرِّوَايَةَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ لَمْ فَقَدْتْ قُوَّةَ الْاِسْنَادِ كَانَ
لَابِدُ فِيهَا مِنَ الْحَذْرِ وَالْتَّحْرِيِّ وَتَقْيِيمِهَا بِاعْتِبَارِ مِنْهَا مِنْ حِيثِ الْمَوْافَقةِ
لِلْأَصْوَلِ أَوْ عَدْمِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنَ الْمَرَادُ هُوَ هَذَا لِتَعْارُضِ ذَلِكَ مَعَ إِذْنِ النَّبِيِّ
بِالرِّوَايَةِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلِ .

(٢٩) انظر الجامع لأخلاق الراوى وأداب النامع ١٦٢/٢ - ١٦٣ .

(٣٠) مقدمة في أصول التفسير ص ٥٩ .

وعلى هذا يحمل قول الإمام الشافعى رحمة الله عندما سأله رجل عن شيء من أمر نوح عليه السلام فقال الشافعى : ليلت أنا نجد بيننا وبين نبينا عليه المصلحة والسلام شيئاً يصح فكيف بيننا وبين نوح (٣١) ١٠١ هـ

فقصد الإمام الشافعى رحمة الله : أن غالباً ما يروى لا يؤخذ على إطلاقه بل لابد من تمحيصه ، ولو حمل كلامه على إطلاقه لتعارض مع قوله هو في الموطأ : ما كتاب بعد كتاب الله عز وجل أصح من موطأ مالك (٣٢) علمًا أن الموطأ قد حوى ١٨٠٠ حديث تقريراً ما بين مرفوع وموقوف ومقطوع وفيه مراسيل وبلاغات كثيرة .

وهذا فضلاً عن أنه صحي عن النبي ﷺ الكثير بسبب الإسناد المتصل بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه مع السلمة من الشذوذ والعلة المقادحة ولو حملنا كلام الإمام الشافعى على إطلاقه لتعارض ذلك مع فقهه رحمة الله ، إذ يطالب عندئذ بادلة فقهه من السنة وإنما فمن أين أتى بالفقه إذن ؟

وخلاصة القول : أن علماء السلف رحمهم الله تعالى لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الإسرائييليات في التفسير ولم يطلقوا القول فيها بالتحريم وإلقاء اللائمة على المفسرين في إدخالهم لها في تفاسيرهم ، بل عابوا رواية الباطل دون بيان كذبها ، ومن هذا القبيل عابوا كتاباً مخصوصاً أدخلت هذا النوع دون بيان .

هذا عن موقف علماء السلف رحمهم الله تعالى ، وأما عن موقف المثقف المعاصر فإن الشعور بوجه عام مشعر بالتوجس من الإسرائييليات

(٣١) الجامع لأخلاق الراوى وأداب السامع ١١٤/٢ .

(٣٢) مقدمة تنوير الحوالك من ٧ .

مطلقاً والتاليف من وجودها في كتب التفسير ، ولعل ذلك يعود إلى كثرة التنبيه على خطرها والطعن فيها مع الإطلاق دون تقييد أو تمييز ، وإن كان التقييد مقصوداً ضمناً ، غير أن القاريء وإن كان متفقاً فإنه يتبادر إلى ذهنه الإطلاق دون أن يخطر بباله قيدٌ قط .

فمثلاً عندما يكتب بعض الباحثين في الإسرائييليات ويحذر منها بقوله : إن فلانا حشا تفسيره بالإسرائييليات وآخر يقول : إن فلانا ملا تفسيره بالإسرائييليات وآخر يقول : إن فلانا شحن تفسيره بالإسرائييليات مع أنه يعذر فيها لو أدخلها كتب التاريخ لكنه لا يعذر بإدخالها التفسير

فمثل هذا السياق مشعر بالإنكار المطلق ، وله أثره المطلق كذلك . وهكذا الشأن عند التحدث أو المذاكرة في هذا الموضوع فإن الإطلاق هو الذي يسيطر غالباً .

والموقف الحق هو موقف السلف رحمهم الله تعالى وهو أن نميز الغث من السمين منها ، وننكر على من أدخل النوع الباطل منها دون بيان لفسادها ، هذا من جهة ، ولا نريد من جهة أخرى أن ينشغل المؤلف المعاصر بها عما هو أهم وأثبت من الأحكام التشريعية والقضايا الإسلامية المعاصرة .

وبعد هذا يمكن أن ينشأ سؤال هو : بما أن المفسرين ميزوا الغث من السمين من الإسرائييليات فلماذا ذكروا غثها إذن في تفاصيرهم ؟

ويأتي الجواب في الاعتذار عنهم حيث تتضح الأسباب العلمية التي دفعتهم لذلك .

٦ - نوع التفسير الذي دخلته الرواية الإسرائيلية :

إن كتب التفسير تختلف فيما بينها في طبيعة وتنوعية المنهج لتفسير القرآن الكريم فمنها ما يعرف : - بالتفسير بالتأثر ، وهو تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة ، أو بآقوال الصحابة ، والتابعين ، والمهم أن العامل الرئيسي في هذا المنهج هو النقل ، ومن هذا النوع تفسير الإمام أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ (٢٢) ، والإمام محمد ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ (٢٤) ، والحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ (٢٥) .

- ومنها ما عرف بالتفسير بالرأى ، وهو تفسير القرآن الكريم على ضوء العقل المجرد ، والواقع ، وربما دخل فيه تفسير أهل البدع والآهواء ، ومن هذا النوع تفسير الإمام الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (٢٦) .

(٢٣) انظر كتابه : *تفسير القرآن العظيم* . حققه وابن حاديثه د. أحمد عبد الله العمازى الزهرانى ، ط أولى ١٤٠٨ ، مطبعة هجر للطباعة والنشر والاعلان . القاهرة .

(٢٤) انظر كتابه : *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* ، حققه وعلق حواشيه محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر .

(٢٥) انظر كتابه : *تفسير القرآن العظيم* ، على حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف محمد ، الأولى ١٣٨٤ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة .

(٢٦) انظر كتابه: *التفسير الكبير* ط الثالثة ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت :

وتفسیر الإمام الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (٢٧) .
ومنها ما عرف بالتفسیر الفقهي ، وهو تفسیر يكثر فيه الإسهاب
في الكلام على الأحكام الفقهية في الآيات التشريعية كتفسير الإمام
القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ (٢٨) .

أو يقتصر فيه على تفسير الآيات التشريعية الفقهية فحسب
كتفسير الإمام الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ هـ (٢٩) ، والامام أبي بكر
ابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ (٤٠) .

— ومنها التفسير الباطنى ، وهو تفسير يخضع الآيات القراءية
للنظريات الصوفية الفلسفية ، والتاویلات الباطنية ، ومن ذلك
كتاب الفتوحات المكية (٤١) .

وفصوص الحكم للشيخ محى الدين بن عربي المتوفى سنة
٦٣٨ هـ .

— ومنها ما عرف بالتفسیر العلمي بالمفهوم المعاصر الذي يفسر
الآيات الكونية ، ويوضح حقيقة النفس البشرية وأثارها ، كما
يعكس الحياة الاجتماعية .

(٢٧) انظر كتابه : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في
وجود التاویل ، دار المعرفة ، بيروت .

(٢٨) انظر كتابه : الجامع لأحكام القرآن ، دار أحياء التراث العربي
— بيروت .

(٢٩) انظر كتابه : أحكام القرآن ، دار الكتاب العربي — بيروت .

(٤٠) انظر كتابه : أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البحاوى
دار الفكر — بيروت .

(٤١) دار الكتب العربية — بيروت .

من ذلك تفسير الامام محمد عبد المتفى سنة ١٣٢٣ هـ (٤٢) ،
وتفسير الشيخ محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ (٤٣) ، وتفسير الشيخ
طنطاوى جوهري المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ (٤٤) ، وتفسير سيد قطب (٤٥)
المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ (٤٦) .

هذه أشهر أنواع كتب التفسير ، أما النوع الذى دخلته الاسرائيليات
 فهو النوع الأول لأن الرواية الاسرائيلية هي من منهج هذا النوع لأنه
 يعتمد أصلاً على النقل والرواية ، والصحابة والتابعون رضي الله عنهم
 كانوا يسمعون من أهل الكتاب ويررون عنهم كما تقدم .

أما الأنواع الأخرى فان موضوعها بعيد في الأصل عن تفسير
 القرآن بالقرآن أو الرواية عن النبي ﷺ أو السلف الصالح رضي الله
 عنهم وإن دخله شيء من النقل فعلى سبيل التكميل لا الأصالة . بعد
 هذا يتضح أن الاسرائيلية لم تدخل جميع كتب التفسير – كما تفيده
 عبارة الكثرين – وإنما نوعاً واحداً من الأنواع السالفة الذكر وهو
 التفسير بالتأثر .

(٤٢). انظر كتابه : تفسير جزء عم ، مطبعة مصر - ١٣٤١ هـ .
وتفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن بالتأثر
 مع محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار - ١٣٥٣ هـ .

(٤٣). انظر : تفسير المنار ، مطبعة المنار ، ١٣٤٦ هـ .

(٤٤) انظر كتابه : الجواهر في تفسير القرآن الحكيم ، مطبعة
 مصطفى الجلبي - ١٣٤٠ هـ .

(٤٥). انظر كتابه : في ظلال القرآن ، دار الشروق - بيروت .

(٤٦) انظر : مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ، ص
 ٣٦٧ - ٣٥٧ .

ثم لو أردنا أن نأخذ صورة تقريبية عن حجم هذا النوع من التفسير بالنسبة إلى باقى كتب التفسير لوجدنا أنه لا يتجاوز ١٧٩ %

ودليل ذلك أن بعض الباحثين (٤٧) قاموا بإعداد حصر - حسب الطاقة - لكتب التفسير وعلوم القرآن الكريم وكل ما صنف فيما يتعلق بالدراسات القرآنية فقمنا بحصر لكتب التفسير بلغت ٧٠٠ تفسير بجميع أنواع التفسير ثم انتقينا منها كتب التفسير بالتأثير بلغت ١٢٥ تفسيرا .

ولدى عمل نسبة ١٢٥ : ٧٠٠ تظهر النتيجة ١٧٩ % فهذا القدر من التفسير الذى دخلته الرواية الإسرائيلية بنوعيها المقبول والمردود .
٧ - نسبة الإسرائيликيات الباطلة في كتب التفسير :

إذا أردنا أن نتعرف على نسبة الإسرائيликيات الباطلة في كتب التفسير بوجه عام فيحسن لذلك أن نعرف نسبة وجود القصة القرآنية بالنسبة لباقي موضوعات القرآن الكريم ، لأن القصة القرآنية هي مظنة الرواية الإسرائيلية المفصلة الصحيحة والباطلة ، وليس الآيات التشريعية والأيات الكونية هي مظنة ذلك .

وبعد ذلك يمكننا أن نستخرج نسبة الإسرائيلية الباطلة من سائر الإسرائيликيات في كتب التفسير ، وهذا أمر يساعدنا على تقليص حجم الإنكار .

(٤٧) الدكتور علي شواخ إسحاق في كتابه «معجم مصنفات القرآن الكريم» والدكتورة ابتسام مرهون الصفار في كتابها «معجم الدراسات القرآنية» .

أما عن نسبة القصة القرآنية بالنسبة لباقي موضوعات القرآن الكريم فإنها توجد في ٥٨ سورة من سور القرآن الكريم الـ ١١٤ بداعٍ من سورة البقرة إلى سورة المزمل ، ويستثنى من هذا التسلسل سورة الرعد - والسجدة - وزمور - ومحمد - صلى الله عليه وسلم - والفتح - والجرات - والنجم - والرحمن - والواقعة - والجادلة - والحضر - والمنافقون - والطلاق - والملك - والعارض - والجن - ، وأما من سورة المزمل إلى سورة الناس فقد خلت من القصة ما عدا الفجر والشمس . غير أنه لا يمكننا أن نجزم بشيء بالنظر إلى عدد من السور التي تضمنت القصة ، ذلك لأن القصة قد تأخذ من السورة آية واحدة أو ثلاثة آيات ، وهكذا إلى مائة آية أو أكثر وذلك قليلاً جداً كسورة البقرة ويوسف والكهف وريم وطه والأنبياء والشعراء ، وفي بعض هذه السور لم تأخذ القصة مائة آية ، لهذا قمنا بإحصاء لعدد آيات الـ ٥٨ سورة المشتملة على القصة القرآنية فبلغت ٤٧١٤ آية من أصل ٦٢٠٠ آية التي هي عدد آيات القرآن الكريم ، وربما يظن القارئ أن هذه نسبة كبيرة جداً ، والحال ليس كذلك لأن القصة القرآنية لم تأخذ من السورة إلا القليل من آياتها غالباً سوى السور السالفة الذكر .

وبعد البحث الأول التقريري لآيات القصة تبين أنها بلغت حوالي ٢٠٠٠ آية يعني بمعدل ٣٠٪ من القرآن الكريم وهذه النسبة من القصة القرآنية هي التي اهتم بها أهل التفسير بالتأثير إما تفصيلاً لها أو اقتصاراً على ذكر ما يقتضيه الحال والمقام مما صح منها أو فسد ، وبذلك نضع هذه النسبة أمام كل قارئ لكتب التفسير حقيقة المراد من قول من يقول : إن كتب التفسير قد شنجت بالأساطيليات ،

وما أشبه ذلك من الإطلقات ، أما نسبة الباطل من الإسرائييليات فإنها بلغت ٢٥ % من جميع الإسرائييليات ، ودليل ذلك هو أننا استخرجنا ٢٨ روایة من أشهر الإسرائييليات في التفسير ولدى دراستها (٤٨) تبين أن سبع روایات منها باطلة والباقي مما تجوز روایته ، وهذا القدر يعادل ٥٧٪ - ٣٠ والنسبة المئوية ٢٥٪ فهذه النسبة تزيد الأمروضوحاً وتضيقاً لساحة الإنكار المطلق وتحدد مسار الإنكار ووجهته وأنه ينصب على هذه النسبة فحسب لا على غيرها فهل حشا المفسرون تفاسيرهم من الإسرائييليات إذن ؟ ولكن يبقى بعد ذلك الكشف عن السبب لإدخالهم هذه النسبة الباطلة في كتب التفسير وهل تعقبوها ببيان بطلانها أم لا ؟ ويوضح ذلك في الاعتذار إن شاء الله .

٨ - من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه :

تقديم قليل أن بعض المفسرين أدخلوا الإسرائييلية الباطلة ، وهم من عرّفوا بغزاره العلم والفضل والعدالة والضبط والذب عن حياض الإسلام وكانوا من أئمة عصرهم أمثال الإمام سفيان الثوري والامام سفيان بن عيينة والامام أبو الليث السمرقندى والامام أبو حاتم الرازى والامام ابن جرير الطبرى والامام البغوى والامام ابن عطية والحافظ ابن كثير والامام الشعائى والامام السيوطي والامام الألوسى وهذا الأخير وإن كان تفسيره يعد من التفسير بالرأى الجائز إلا أنه كثير النقل والتعليق على الإسرائييليات ومتداول كثيراً فامتثال هؤلاء الأئمة يعتذر عنهم وذلك بالكشف عن الأسباب التي دفعتهم إلى ذكر الإسرائييليات الباطلة في كتبهم ، أما من عرف عنهم التساهل بالكذب وملأوا تفاسيرهم منه

(٤٨) ضمن بحث : الروایات الإسرائييلية ، وموقف مفسرى المشرق

كمقاتل بن سليمان والمسائب الكلبى ومحمد بن مروان المعروف بالسدى الصغير وأمثالهم فإنه لا يعتذر عنهم بل يستمر التنبية على خطر تفاسيرهم والله أعلم .

٩ - ضرورة الاعتذار :

بعد أن تحددت جهة الإنكار على بعض المفسرين بإدخالهم النوع الباطل من الاسرائيليات . كان من الضروري الاعتذار عنهم في ذلك ، ووجه هذه الضرورة ما يلى :

(١) إننا لو تركنا الأمر على ما هو عليه فسوف يبقى الأمر مداعاة للشك والتساؤل نحو أولئك العلماء العاملين الذين افتروا أعمارهم في الذب عن حياض الإسلام بلسانهم وقلهم وكانوا القدوة المثالية والسلف الصالح لكل من آتى بعدهم إلى عصتنا الحاضر لهذا يأتي بالاعتذار ليدفع ذلك الشك والتساؤل ويثبت الثقة ويطلعنا على ضرورات وظروف علمية ، لم يسبق لكثير منها معرفتها ، إذ ذكرهم لها مع فضلهم يدل على أنهم ما ذكروها تساهلاً بالكذب وإنما لسوء علمي .

(ب) إن أخلاق البحث والنقد العلمي تقتضي البحث عن السبب الذي دعا الكاتب والباحث إلى تسجيل ما عرضه للنقد ، والتماس العذر له بدلاً من الإسراع إلىاتهامه بالخطأ والحط منه - لو حدث ذلك - وبالخصوص سلفنا الصالح رضى الله عنهم مع اليقين بعدم عصمتهم عن الخطأ بإدخال بعضهم للأسرائيليات الباطلة لا يعقل أن يكون ضرباً من الاتساع في الرواية فحسب أو ضرباً من العبث أو من التساهل في الكذب وهم قد ضربوا المثل

الامثل في الورع والحافظ على قدسيّة كتاب الله عز وجل والذب عنه ، لذلك علينا أن نبحث عن السبب الذي دفعهم لذلك فإن لم نجد بعد الاستقراء القائم قلنا لعل ذلك كان سهوا أو خطأ وهم غير معصومين منه ، والمعروف أن من شأن العلماء التماس العذر لبعضهم البعض بعدها وتحاشياً عن اتهام بعضهم بالخطأ وجرح الثقات ، فمن ذلك مثلاً قول الإمام أبي حيان الغرناطي النحوى عند ذكره روايات متعددة في قصة الذي تحدث عنه رب العزة بقوله : « واتل عليهم بما الذي أتیناه آياتنا فانسلخ منها » (٤٩) . قال أبو حيان : « والأولى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تحمل أقاويلهم على التمثيل لا على الحصر في معين ، فإنه يؤدي إلى الاضطراب (٥٠) ١٠ هـ . فقوله هذا نابع من الانصاف العلمي المجرد ، إذ لم يرض اتهام الأئمة المفسرين بالاضطراب في سردهم للروايات المختلفة في الآية الواحدة ، واعتذر عنهم بعذر علمي وجيه لا يقبل الرد .

ومن هذا القبيل أيضاً قول الحافظ المخاوي رحمة الله في معرض الجمع بين روایتين متعارضتين من راو واحد والتماس العذر له من طروع الشك له مثلاً حال الرواية اذ يقول : كثيراً ما يسلك الحفاظ كالنبوى رحمة الله ذلك توصلنا إلى تصحيح كل من الروايات ، صونا

(٤٩) سورة الأعراف : الآية ١٧٥ .

(٥٠) البحر المحيط ٤٢٤ .

للرواية الثقات أن يتوجه الغلط إلى بعضهم ٠١ هـ (٥١) ، فهذا سلوكهم في النقد العلمي فهلا تاسينا بهم ٠

١٠ - ما يمكن أن يعذر به :

ان الاعتذار عن المفسرين الذين أدخلوا الاسرائيليات الباطلة في تفاسيرهم ينحصر في الجواب عن سؤالين :

أولهما : لماذا أدخلوها تفاسيرهم مع علمهم ببطلانها ؟

ثانيهما : هل بينوا بطلانا منها بعد ذكرها أم لا ؟

اما الجواب عن السؤال الأول فينحتم رفيفا ياتي :

١ - ان من منهج علماء الرواية والدرية العناية بالروايات المكذوبة حفظا وكتابة في أجزاء خاصة ورواية لها في سياق معين يميزها عن غيرها كى يعرفوا الناس بها ولا يغتر بها أحد ، ولا تستبعد ذلك منهم فقد كان غير واحد من كبار أئمة المحدثين يحفظون أحاديث الكاذبين لهذا الغرض ٠

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله : انى لاروى الحديث على ثلاثة أوجه : أسمع الحديث من الرجل اتذذه ديننا ، وأسمع الحديث من الرجل اوقف حديثه ، وأسمع الحديث من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته ٠١ هـ (٥٢)

وقييل لأبي حاتم الرازى : أهل الحديث ريموا حديثا لا أصل له ولا يصح ! فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم

(٥١) فتح المغيث ٢٤٢/١

(٥٢) شرح علل الترمذى لابن رجب الحنبلى ٧٨/١

فروايتهم للحديث الواهى للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار
وحفظوها (٥٣) ١٠ هـ

وقال الخطيب البغدادى رحمة الله : من روى حديثاً موضوعاً على
سبيل البيان لحال واضعه .

والاستشهاد على عظيم ما جاء به والتعجب منه والتنفير عنه
ساغ له ذلك وكان بمناسبة إظهار جرح الشاهد فى الحاجة إلى
كشفه والإبانة عنه (٥٤) ١٠ هـ

قال الإمام يعقوب بن سفيان الفسوى فى على بن الحزور الكوفى
وهو متزوك الحديث قال : لا يكتب حدثه ولا يذكر إلا للمعرفة (٥٥)
١٠ هـ . وقال أيضاً فى عيسى بن قرطاس الكوفى وهو متزوك ومتهم
قال : لا يذكر حدثه ولا يكتب إلا للمعرفة (٥٦) ١٠ هـ . وقال الإمام
محمد بن حبان البستى فى عامر بن صالح الزبيري : كان يروى
الموضوعات عن الثقات لا يحل كتب حدثه إلا على جهة التعجب (٥٧)
١٠ هـ . وقال أيضاً فى كثير بن عبد الله المشكري : روى عن أبيه عن
جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها فى الكتب ولا الرواية عنه إلا على
جهة التعجب (٥٨) ١٠ هـ وفي تهذيب التهذيب : قال الحسن بن خلال

(٥٣) فتح الغيث شرح الفية الحديث للسخاوي ٣١٥/١

(٥٤) فتح الغيث ٢٥٥/١

(٥٥) تهذيب التهذيب ٢٩٧/٧

(٥٦) المصدر السابق ٢٢٨/٨

(٥٧) المصدر السابق ٧٢ ، ٧١/٥

(٥٨) المصدر السابق ٤٢٢/٨

حدثنا عمران بن أبیان عن شعبة عن مالک عن عمرو بن مسلم عن سعید بن المیتب عن ام سلمة رفعه «إذا أهله هلال ذى الحجۃ فمن كانت عنده ذبیحة ..» الحديث . قال عمران : فسألت مالکا عنه اى الحديث - فقال : ليس هذا من حديثی قال : فقلت لجلسائه حدثنا بهذا الحديث عنه امام العراق ، ويقول : ليس من حديثی ، فقالوا إنه إذا لم يأخذ بالحديث ، فقال : ليس من حديثی .

قال الحافظ ابن حجر بعد ذلك : كتبت هذا لأنني استنكرت هذا من عمران ولا اعتقد صحة هذا الكلام عن مالک (٥٩) .

٢ - كان من منهج علماء السلف في الروایة أنهم اذا ذكروا اسناد الخبر اكتفوا بذكره عن نقه واعتبروا ذلك إحالة للقاريء أو السامع إلى التفتیش عن مستوى الروایة وكانوا يرون في ذلك براءة من المعهدة لذلك أثر عن بعضهم قوله : من أسد فقد حمله ومن أرسّل فقد تکفل لك (٦٠) يعنيون بذلك : أن ذكر الاسناد دون أي نقد وتقییم كان في ذلك براءة من المعهدة ، وانما المعهدة على السامع والقاريء ، وأما إرسال الإسناد فيه كفالة من المرسل وعلى عهده أن لا يرسل الا عن ثقة عنده .

فيتضح من هذا المعنى أنهم كانوا يصنفون لأهله عصرهم لأنهم يميزون وينقدون على خلاف الحال في هذا العصر ، لم يظنووا أن تصانيفهم سوف ترقى إلى هذا العصر .

قال الحافظ ابن حجر : والاكتفاء بالحالة على النظر في الاسناد

(٥٩) المصدر السابق ١٢٢/٨ .

(٦٠) جامع التحصیل لاحکام المراسیل ص ٢٨ .

طريقة معروفة لكثير من المحدثين وعليها يحمل ما صدر عن كثير منهم من ايراد الحديث الساقط معرضين عن بيانها صريحاً ، وقد وقع هذا لجماعة من كبار الأئمة ، وكان ذكر الامتداد عندهم من جملة البيان (٦١) ١٠ هـ .

وقال الحافظ السخاوي رحمة الله : وكذا لا يبرأ من العهدة في هذه الأعصار بالاقتصر على ايراد اسناده بذلك لعدم الامن من المذكور به وان صنعه اكثر المحدثين في الأعصار الماضية في سنة مائتين وعلم جرا خصوصا الطبراني وأبو نعيم وابن منده فإنهم اذا ساقوا الحديث بأسناده اعتقادوا انهم برئوا من عهده (٦٢) ١٠ هـ .

وهذا الحكم منسحب تماما على الرواية الاسرائيلية المكذوبة اذ لا فرق بينها وبين الحديث الموضوع من هذه الحيثية بل امرها أخف لأنها لم ترد في الأحكام التشريعية أصلا وإنما في التاريخ غالباً ، يقول الحافظ أبو الفضل العراقي رحمة الله في معرض حديثه عن تفسير الواحدى وأمثاله من التفاسير التي اشتهرت برواية الاسرائيليات قال : من أبرز إسناده من المفسرين أعنى من حذف إسناده لأن ذاكراً إسناده يحيى ناظره على الكشف عن سنته ، أما من لم يذكر سنته وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أشد كالزمخشري (٦٣) ١٠ هـ .

نخلص مما سبق أن المفسرين الذين يعتذر عنهم ممن تقدم ذكرهم انما ذكروا الاسرائيلية الباطلة في تفاسيرهم ليميزوها عن المقبولة ،

(٦١) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٨٦٣/٢ .

(٦٢) فتح المغيث ٢٥٤/١ .

(٦٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٨٦٢/٢ .

وذكرها أسانيدهم إلى رواتها من الصحابة والتابعين عن أهل الكتاب أو كتبهم ليبرأوا من العهدة أو أرسلوها عن ثقات عندهم كفالة منهم بذلك .

٢ - وأما الجواب عن السؤال الثاني وهو : هل تعقبوها بيان بطلانها بعد ذكرها أم لا ؟ فالجواب : أنهم تعقوها أحياناً وسكتوا عنها أحياناً أخرى ، غير أنه غالب جانب التعقيب على السكوت ، وسأذكر خمسة أمثلة ثدل على ذلك من واقع تفسير الإمام ابن جرير الطبرى وأبن عطية وأبى حيان النحوى والخازن والشعالبى وأبن كثير ، وقبل أن أشرع فى ذكرها أحب أن أنبه إلى أننا لم نزل نزل فى صدد الاسرائيلية الباطلة .

المثال الأول : قال الله تعالى حاكيا قصة أكل آدم من الشجرة : (فازلهمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (٦٤) ، فقد ورد في معناها عند المفسرين ما مفاده : لما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة وكان فيها شجرة تأكل منها الملائكة لخدمتهم نهى الله آدم وزوجته عن الأكل منها ، فاراد ابليس أن يعصي آدم ربه ، ولما كان متنوعاً من دخول الجنة دخل في جوف الحية وكان للحياة أربع قوائم كانها بختية - ناقة - فدخلت الحياة الجنة ، عندئذ خرج الشيطان منها وكلم آدم مفريا له في أكله من تلك الشجرة فابى آدم فجاء إلى زوجته فاغرها بالأكل منها فأكلت ثم ذهبت بثمرة منها إلى آدم وكلمه في الأكل منها فأكل فبدت لهما سوأتهما وطفقا يغطيانها بورق الجنة ودخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه أين أنت يا آدم ؟ قال :

أنا هذا يا رب . قال : لا تخرج ؟ قال : أستحي منك يا رب عندك
حول الله تلك الشجرة شوكاً وهي شجرة السدر ، ثم عاتب حواء بأن
يكون حملها لولدها كرها ، وعاتب الحية بأن جعل قوائمها في
بطنهما وأن لا تأكل إلا التراب . فمثل هذه القصة يردها العقل السليم .
أما موقف الطبرى منها فقد ذكرها وتعقبها بترجيح ما وافق ظاهر
النص القرآنى (٦٥) . وأما ابن عطية فقد ذكرها مختصرة ولم يعقب
عليها (٦٦) . أما أبو حيان فقد ذكرها وتعقبها بالابطال (٦٧) وأما
الخازن فقد ذكرها وسكت عنها (٦٨) ، وأما الثعالبى فلم يذكرها
أصلاً (٦٩) ، وأما ابن كثير فقد ذكرها وتعقبها (٧٠) .

المثال الثاني : أورد المفسرون روايات متعددة في قصة هاروت
وماروت ، والرواية الباطلة في ذلك . (إن الله عز وجل لما افبطهما
إلى الأرض جاءتهما امرأة من أجمل نساء فارس اسمها بيذخت فزاودتها
عن نفسها فأبانت حتى يكفرا بالله ويشربا الخمر ويقتلان النفس ويعلمها
كلاماً إذا تكلمت به يعرج بها إلى السماء ، ففعلاً ذلك فقيداً بالأغلال
وجعل ببابل ، وتكلمت المرة بالكلام فعرج بها إلى السماء ومسحت
نجماً وهو الزهرة) وروى أن كوكب الزهرة نزل إليهم بصورة المرأة

(٦٥) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٢٥/١

(٦٦) انظر : المحرر الوجيز ٢٥٦/١

(٦٧) انظر : تفسير البحر المحيط ١٦١/١

(٦٨) انظر : لباب التأويل ٤٩/١

(٦٩) انظر : الجواهر الحسان ٥١/١

(٧٠) انظر : تفسير ابن كثير ٤٩/١ ، ٢٢٢/٤ ، ٣٣٣/٣

وقد ذكر الطبرى هذه الرواية وسكت عنها (٧١) أما الثعالبى فقد أشار إليها باختصار وضعفها (٧٢) ، وذكرها كل من ابن عطية (٧٣) ، وأبو حيان (٧٤) ، والخازن (٧٥) ، وابن كثير (٧٦) ، وتعقبوها جميعاً بالابطال .

المثال الثالث : ورد عند المفسرين في قصة ما حمله نوح عليه السلام معه في السفينة روايات متعددة : مفادها أنه حمل فيها زوجين زوجين من آمن معه وحمل من الشجر والبهائم زوجين زوجين فلما كثر روث الدواب في السفينة أمره الله أن يغمز ذنب الفيل فغمزه فخرج منه خنزير وخفزيره فاقبلاه على الروث فاكلاه ، ولما جعلت الفار تقطع حبل السفينة أمره الله عز وجل أن يضرب بين عيني الأسد ففعل فعسس الأسد فخرج من منخريه هران فاكلا الفار ، وقد روى في هذا السياق خرافات أخرى ، وقد ذكرها الطبرى ولم يعقب عليها (٧٧) ، أما ابن عطية (٧٨) وأبو حيان (٧٩) فذكرها وعقباً بتعليقها ، أما

(٧١) انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٤٥٧/٢

(٧٢) الجوادر الحسان ٩٣/١

(٧٣) المحرر الوجيز ٤١٨/١

(٧٤) تفسير البحر المحيط ١٢٩/١

(٧٥) لباب التأويل ٨٨/١

(٧٦) تفسير ابن كثير ١٤٢/١

(٧٧) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٣١٨/١٥

(٧٨) المحرر الوجيز ٢٩٤/٧

(٧٩) تفسير البحر المحيط ٢٢٢/٥

الخازن(٨٠) فذكرها ولم يعقب بتضييفها ولم يذكرها الشعالبي(٨١)
ولا ابن كثير(٨٢) .

المثال الرابع : قال الله تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن
رأى برهان ربه) (٨٣) ورد في معنى الهم هنا أقوال متعددة وأفهشها
معنى (أن يوسف عليه السلام هم بفعل الفاحشة مع امرأة عزيز مصر
فانفرج سقف البيت فرأى منه صورة أبيه يعقوب عاصيا بفمه على يده
وهو ينهاء عن الفاحشة فتركها وخرج من البيت فتبعته وقدت قميصه
من دبر وهي تجره إلى داخل البيت وهذا الأمر بعيداً أصلاً عن أنبياء
الله عليهم الصلاة والسلام ويتعارض مع عصمة الله لهم . أما الطبرى
فقد ذكر هذا الرأى وغيره ثم عقب بترجمى ما وافق ظاهر النص
القرآنى مطلاقاً(٨٤) وذكره كل من ابن عطية(٨٥) وأبى حيان(٨٦)
والشعالبى(٨٧) وعثبوا بباطلاته ، وأما الخازن فذكره ثم عقب بأن الهم
هو حديث القلب الذى لا يواخذ به العبد(٨٨) ، وأما ابن كثير فذكره

(٨٠) لباب التأويل ٢٣٢/٣

(٨١) الجوادر الحسان ٢٠٥/٢

(٨٢) تفسير ابن كثير ٤٧٧/٢

(٨٣) سورة يوسف الآية ٢٤

(٨٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٣٣/١٦

(٨٥) المحرر الوجيز ٤٧٦/٧

(٨٦) تفسير البحر المحيط ٢٩٤/٥

(٨٧) الجوادر الحسان ٢٣١/٢

(٨٨) لباب التأويل ٢٧٤/٣

فِي أُولِ الْأَقْوَالِ ثُمَّ خَتَمَ جَمِيعَ الْأَقْوَالِ بِقَوْلِ يَنْزِهُ نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ مُفَادَةً أَنَّ الْهَمَّ بِالسُّوءِ لَمْ يَحْصُلْ أَصْلًا (٨٩) .

المثال الخامس : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَهُلْ أَتَكُمْ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسْوَرُوا
الْمَحَارَابَ ، إِذْ دَخَلُوكُمْ عَلَى دَاوِدَ فَغَرَّهُمْ مِنْهُمْ) (٩٠) الْآيَاتُ .

ورد في معنى هذه الآيات : ان داود عليه السلام كان يوماً
في محاربه إذ وقعت عليه حمامه فاراد ان يأخذها فطارت إلى كوة
المحرب فنظر من الكوة فرأى امرأة عارية تغسل على سطح بيتها
وقد كساها الله من الجمال ما لا يوصف فوقعت في قلبه فسأل عن زوجها
فأخبر بأنه اوريا احد قواد الجناد فارسله الى الغزو كى يقتل فارسله
في ثلاث غزوات وكان يعود سالماً ، وفي الرابعة قتل فتزوج زوجته
بعده وكانت هي تمام المائة زوجة لداود عليه السلام لذلك أنزل الله
إليه ملكين بصورة رجلين يختصمان في نعجة ... الخ ، ومثل هذا
الموقف لا يرضاه عاقل لنفسه فكيف لنبي الله داود عليه السلام اما
الطبرى ذكرها ولم يعقب عليها (٩١) ، وأما ابن عطية ذكرها وعقب
بإبطالها (٩٢) ، وكذا أبو حيان (٩٣) ، والشعالبى (٩٤) والخازن (٩٥) ،

(٨٩) تفسير ابن كثير ٥١٠/٢

(٩٠) مسورة ص الآيات ٢٢ - ٢٧

(٩١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤١/١٢

(٩٢) المحرر الوجيز ٤٣٧/١٢

(٩٣) تفسير البعر المحيط ٣٩/٤

(٩٤) الجوادر الحسان ٣٩/٤

(٩٥) لباب التأويل ٤٥/٦

وابن كثير(٩٦) ، فظهر من الأمثلة السابقة أن تعقيب المفسرين كان أكثر من سكوتهم وتوضيح ذلك أكثر ، إنما لو حسبنا المرات التي وردت في الأمثلة الخمسة عند المفسرين المئة وكانت ٣٠ مرة ، وقد سكتوا في ٦ مرات وعقبوا فيباقي وهو ٢٤ مرة ، هذا بوجه عام . أما الذين ظهر منهم السكوت أكثر من غيرهم فهم الطبرى والخازن ، إذ سكت الطبرى في ٣ نقاط والخازن في نقطتين .

وبالجملة فإن المفسرين لم يقفوا من الرواية الباطلة مكتوفي الأيدي وإنما أدخلوها تفاسيرهم للتعريف بها كى تتميز ولا يغتر بها ، ثم أسندواها ليروا من العهدة ، ومع ذلك تعقوها ببيان بطلانها فى أكثر الأحيان .

١١ - تنبيهات :

الأول : تقدم معنا أن المفسرين تعقوها الاسرائيلية أحياناً وسكتوا عنها أحياناً أخرى فسكتهم هذا لا يعني أنهم تساهلوا فيها وذلك لامور :

١ - إن مجرد ذكرها في كتب التفسير تميز وبيان لها كى لا يغتر بها أحد ، كما أن ذكر إسنادها براءة من العهدة عندهم فكيف بعد ذلك إذا تعقوها أحياناً ! بل إن تعقيبهم عليها لأول مرة دليل على أن المفسر قد وضع منهجه منها عملياً .

٢ - ربما يرى المفسر من وجهة نظر بحثية وتصنيفية أن التكرار في التعقيب فيه ملل وإطالة ما دام قد سبق أن تعقبها ووضح موقفه منها ، فربما تعقوها في البداية ثم ذكر بعدها أخرى فسكت بعدها عن الإطالة

واكتفاء ببيان موقفه منها أولاً ، وأضرب على ذلك مثلاً من تفسير الطبرى باعتباره أكثر المفسرين المعنيين فى هذا البحث ذكراً لها وسكتاً عنها ففى قوله تعالى : (واتبعوا ما تبتلوا الشياطين على ملك سليمان) الآيات (٩٧) .

فقد ساق عند هذه الآيات إسرائيلية باطلة مفادها (أن سليمان لما كان في ملکه وكانت الجن تسترق السمع من السماء وتتلقاه عنهم السحرة فكانوا يكتبونه في صحف فاطلع سليمان على ذلك فجعل تلك الصحف تحت مريره كي لا يفتن الناس به وكان السحرة حريصين على إخراجه للناس ، ولما نزع الله ملک سليمان بسبب شيطان تشكل بصورته وأخذ خاتم سليمان من زوجته ثم جلس على عرشه فظننته الناس أنه هو فاستخرج تلك الصحف للناس ... القصة . وهي من الخرافات ، فبعد أن أسهب الطبرى في سوق طرقها وروياتها كعادته عقب بذقشها من أصلها وأوصى بالرجوع إلى ما جاء في كتاب الله عز وجل وعدم السمع مثل ما يرويه أهل الكتاب (٩٨) .

ثم لما أورد بعدها مباشرة قصة هاروت وماروت وجاء فيها ما لا يطابق العقل ولا الواقع أصلاً سكت عنها ولم يعقب (٩٩) .

٢ - ربما تكون الرواية غير ظاهرة البطلان وإنما تحتمله ، فربما يرى المفسر - اجتهاداً - أنها غير باطلة فيسكت ولا يعقب .

(٩٧) سورة البقرة الآية : ١٠٢

(٩٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٤٦/١

(٩٩) المرجع السابق ٥٧/١

أو ربما تكون جائزة الرواية مما لا يصدق ولا يكذب أو مما وافق شرعنا وأصولنا فلا تحتاج إلى تعقيب عندئذ ، فربما يظن غير العارف أن المفسر في سكوته عنها مقصراً أو الأمر ليس كذلك .

٤ - إن أسلوب التنبية والإعلام ببطلان الرواية ليس مسلكاً واحداً بل هناك مسلالات متعددة في ذلك فربما صدر المفسر الرواية الباطلة بقوله : (قيل - أو روى أو ذكر - أو زعم أهل الكتاب) بهذه الفاظ مشعرة بالضعف عند أهل العلم ، وربما يقول المفسر بعد انتهاءه من سرد الرواية الباطلة (هكذا قيل - أو هكذا روى - أو والله أعلم بالصواب) .

وما أشبه ذلك مشعر أيضاً بالتضعيف ، وربما عمد المفسر إلى ذكر روایات باطلة وصحيحة فقدم ذكر الباطلة وأخر ذكر الصحيحة ليشعر القارئ العارف الفاهم كأهل عصره أن المعتمد عنده هو الرواية الأخيرة . وعلى هذا فليس التصریح بضعف الرواية عقب سردها هو الذي يعتبر . تعقیباً فحسب .

الثاني : إن الإسرائیلية الباطلة قد تكون ظاهرة البطلان وقد تتحققه فإذا كانت من الثاني فإن الاجتهاد يختلف فيها بين الناظرين ، لذلك لا يلام المفسر بعدم التعقيب دائماً ، لأنها قد تكون من هذا القبيل ، علماً أن الناظر فيها والحاكم على بطلانها يجب في الدرجة الأولى أن يكون على دراية واسعة بالسنة المطهرة ، لأنه قد يرد في أخبار السنة ما يؤيد وقوعها وحدوثها ، كما يجب أن يكون على معرفة دقيقة بمسالك الكلام ودللات الألفاظ ، لأنه قد ترد الإسرائیلية موافقة لسياق القصة القرآنية أو أن الفاظ القصة القرآنية تحتملها في

نظر المفسر ، ومن المفسرين من صرح بتطهير تفسيره من الإسرائيليات الباطلة وبعضهم اقتصر من الإسرائيليات بوجه عام على ما يحتمله نص القصة القرآنية فحسب ، فمثل هؤلاء إذا نظرنا في تفاسيرهم فإن الأصل أن لا نجد فيها رواية باطلة ، لأن الأصل في المفسر أن ياتزمه بما اشترطه على نفسه وأن يصدق فيما أخبر عما صنعه ، وخاصة سلفنا الصالح رضي الله عنهم ، وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد بعدهم أن يتهمهم بالإخلال بالشرط إلا من كان في مستواهم العلمي والعقلي حتى يستطيع أن يخوض في ذلك منعم إذا وجدنا في كتبهم ما هو صريح البطلان ولا يتحمل التأويل بحال التمسنا لهم العذر وبحثنا عن السبب كما تملئه أخلاق النقد العلمي ومن هؤلاء المفسرين الإمام أبو حيان النحوي حيث يقول في تفسيره : وقد ظهر كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات (١٠٠) ١٩٥ .

ومنهم الإمام البغوي حيث يقول في مقدمة تفسيره : وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير (١٠١) ١٩٦ .

ومنهم الحافظ ابن كثير حيث يقول : ولم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض الزنادقة ومنها ما يحمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنية عنها والله الحمد ، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا

(١٠٠) تفسير البحر المتوسط ٢٩٤/٥

(١٠١) انظر : ٨/١

الله ورسوله إليهم (١٠٢) أ.هـ .

ومن الذين اقتصروا - من الإسرائيلية عموما - على القدر الذي يفسر اللفظ القرآني دون إسهاب الإمام ابن عطية إذ يقول : وقدرت فيه أن يكون جاما وجيزا محررا ، لا ذكر من القصص إلا ما تنفك الآية به (١٠٣) أ.هـ .

وليس بعيدا أن يكون كثير من المفسرين على هذا النهج لو اتنا تتبعنا الأمر تتبعا تماما ، والذى يشعرنا بذلك مثلا قول الإمام الشعابى فى تفسيره لقوله تعالى : (فابعنوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) (١٠٤) .

إذ قال : وذكرت المهم الذى تفترس به الفاظ الآية (١٠٥) ، وقول الغرناطى فى تفسيره لقوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (١٠٦) ، قال : نذكر من قصتهم على وجه الاختصار مما لا غنى عنه (١٠٧) أ.هـ .

الثانى : اشتهر ان الإمام الطبرى رحمة الله هو أكثر المفسرين - الذين يتداول الناس تفاسيرهم فى هذا العصر - ذكرا للإسرائيلية واسهابا فيها ، ولكنه لم يكن من الساكتين عنها على الدوام وإنما كان يعقب عليها أحيانا غير أنه فيما يبدو أقل المفسرين المعنين فى هذا

(١٠٢) تفسير ابن كثير ٢٧ - ٢٩

(١٠٣) المحرر الوجيز ٤٢٠/١

(١٠٤) سورة الكهف من الآية ١٩

(١٠٥) الجواهر الحسان ٣٧٣/٢

(١٠٦) سورة الكهف من الآية ١٠

(١٠٧) التسهيل في علوم التنزيل ٣٣٣/٢

البحث تعقيباً عليها فلماذا ذكرها إذن وسكت عنها ؟ مع العلم أن ذكر المفسرين لها في كتبهم كان لتمييزها كى لا يغتربها وإن سكتوا عنها ما داموا قد ذكروا الإسناد ، والإمام الطبرى لا يهمل ذكر الأسناد ؟

ونترك الجواب للشيخ محمود شاكر الذى حقق قسطاً كبيراً من تفسير الطبرى ليجيب عن هذا التساؤل . يقول تحت عنوان ذكرة : تبين لي مما راجعته من كلام الطبرى أن استدلال الطبرى بهذه الآثار التى يرويها بأسانيدها لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة ، فهو قد ساق هنا الآثار التى رواها بأسانيدها ليدل على معنى (الخليفة) و (الخلافة) وكيف اختلف المفسرون من الأولين فى معنى (الخليفة) وجعل استدلاله بهذه الآثار كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ فى كتاب الله وهذا بين فى الفقرة التالية للأثر رقم ٦٠٥ إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس ، وما روى عن الحسن فى بيان معنى الخليفة واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم ، ومن أجل هذا الاستدلال لم يبال بما فى الأسناد من وهن لا يرتضيه ، ودليل ذلك أن الطبرى نفسه قال فى أسناد الأثر ٤٦٥ عن ابن مسعود وابن عباس فيما مضى ص ٣٥٣ : (فإذا كان ذلك صحيحاً ولمست أعلمك صحيحاً إذ كنت بأسناده مرتاباً) فهو مع ارتيابه فى هذا الإسناد قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده فيما فهمه ابن مسعود وابن عباس - إن صح عنيهما - أو فهمه الرواة القدموں من معناه وهذا مذهب لا يناس به فى الاستدلال ، ومثله أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التى لا يشك فى ضعفها أو فى كونها من الإسرائييليات ، فهو لم يسوقها لتكون مهيمنة على تفسير آى التنزيل الكريم بل يسوق الطويل لبيان معنى

لفظ أو سياق حادثة وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة في الدين ولا في التفسير التام لأى كتاب الله ، فاستدلال الطبرى بما ينكره المنكرون لم يكن إلا استظهاراً للمعانى التى تدل عليها الفاظ هذا الكتاب الكريم كما يستظهر بالشعر على معانىها فهو إذن استدلال يكاد يكون لغويًا ، ولما لم يكن مستنكراً أن يستدل بالشعر الذى كذب قائله ما صحت لغته فإليس بمستنكراً أن تماق الآثار التى لا يرتضيها أهل الحديث والذى لا تقوم بها الحجة فى الدين للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأولون سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم (١٠٨) أهـ .

فتبيان لنا مما تقدم أمران :

الأول : أن الإمام الطبرى رحمه الله لم يكن يذكر الإسرائيلية لترويجها وإنما لمسوغ علمي اقتضى ذلك .

الثانى : أنه يجب على من أراد أن يطلق حكمًا على مفسر معين أن يكون لديه استقراءً تامًّا لتفسيره مع سعة في العلم ودقة في التمييز ولو تم ذلك فان حكمه عندئذ سوف يكون في صالح سلفنا الصالح لأنهم هم أهل العلم والقدوة الحسنة لجميع المسلمين من بعدهم فلا يتصور منهم العبث وترويج الباطل .

١٢ - ضرورة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات الباطلة :

بعد أن تبين لنا أن بعض المفسرين أدخلوا الإسرائيليات الباطلة في تفاسيرهم ، إنما فعلوا ذلك بمسوغ يتوافق مع ظروف أهل عصرهم

فلا يمعنا في هذا العصر ل تمام الاستفادة من تلك التفاسير أن تصفي من الإسرائييليات الباطلة كى يتسمى للفكر المعاصر تمام الفائدة منها ، ولو تركت تلك الكتب على ما هي عليه فان الفكر المعاصر سوف ينقدها بشدة ويبطل عنده الانتفاع بتلك التفاسير جملة وتفصيلا يعيدها عن التماس العذر والبحث عن الأسباب لأنه لا يعتبر ذكر الإسناد مسوغا أصلا فضلا عن جهله في الغالب في علم نقد الأسانييد وتقييمها علما أن القصور في ذلك قد سبق عصرنا هذا .

يقول الحافظ السخاوي رحمة الله وهو من عاش في القرن التاسع والعشر ت ٩١١ (لا يبرأ من العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على ايراد الأسناد لعدم الأمان من المحذور به وإن صنعه أكثر المحدثين في سنة مائتين وhelm جرا) ١٠٩ هـ .

فإذا لم يؤمن من المحذور في القرن التاسع والعشر في هذا القرن الخامس عشر لا يؤمن من باب أولى حيث انشغل فيه الفكر المعاصر بالحضارة المادية وتعقيباتها فلم ينشط لبذل أي جهد فيما يتعلق بعلم الحديث أو بغيره من العلوم الشرعية وخاصة ما كان في سبيل التحقيق العلمي في مسائلها ، لذلك فإن المرجح أن يكون بين يديه تفسير خال من تلك الروايات كى يتسمى له الانتفاع به دون بذل أي جهد ليس من تخصصه أصلا ، فإذا فعلنا ذلك تكون قد عرفنا الفضل لأهله وحافظنا على استمرارية الانتفاع بآثارهم العلمية .

١٣ - الأسلوب الأمثل في تنقية كتب التفسير من الإسرائييليات الباطلة :

- لتنقية الإسرائييليات الباطلة من كتب التفسير نقترح ما يلى :
- أن تنتقى تلك الإسرائييليات وتجمع في تاليف مستقل ليكون ذلك أدعى وأكيد في التنبيه عليها .
 - أو تتحقق تلك التفاسير تحقيقا علميا على ضوء منهج النقد عند المحدثين ويميز فيها الرواية الباطلة من الرواية الصحيحة باعتبار الإسناد والمتن .
 - أو أن تقوم بعض الجامعات المتخصصة بتكوين لجنة عالمية متخصصة في التفسير والحديث على مستوى عال وتسند إليها مهمة تفسير القرآن الكريم تفسيرا خاليا من ذلك النوع من الإسرائييليات الباطلة .

ونرى أن الاقتراح الأول أخضر زمنا ومؤنة والله أعلم .

١٤ - الخاتمة :

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد الذي ختم الله به الرسالات وعلى الله وأصحابه الذين ختم الله لهم بأحسن الخاتمات ورفعه الدرجات . وبعد :

فهذه خاتمة البحث - نسأل الله حسنها - نذكر فيه أهم ما توطتنا إليه من فوائد :

- ١ - إن المفسرين المعروفيين بعدالتهم وفضلهم وأدخلوا الإسرائييليات الباطلة تفاسيرهم إنما فعلوا ذلك لمسوغات علمية تتوافق مع أهل عصرهم بعيدا كل البعد عن القساحل في رواية الباطل وثرويجه .

٢ - إن منهج النقد التعليمى يقتضى الاستفراء التام للتحرى فى إصدار الحكم الدقيق بعيداً عن المجازفة فيه .

كما يقضى بذلك أن يكون الناقد فى مستوى الذى يوجه نقاده إليه أو أعلى منه علماً وعقلاً .

٣ - إن من أخلاق النقد العلمى البحث عن الأسباب والتماس الأعذار وسلوك التأويل قبل تسديد النقد والاعتراض وذلك بعد التأكد من وجود دواعي الاعتراض .

٤ - على الباحث والناقد تحرى الدقة فى إصدار الحكم فلا يستعمل الاطلاق فى موطن التقييد ولا العكس وكذا فى العموم والخصوص .

٥ - إن لكل عصر ظروفه الخاصة به لهذا يجب مراعاتها .

* * *

ثبات المصادر والمراجع

- ١ - احكام القرآن للجصاص دار الكتاب العربي ، بيروت ١
- ٢ - احكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق على محمد الجحاوى . دار الفكر - بيروت .
- ٣ - الإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شيبة ط الرابعة ١٤١٠ هـ - مكتبة السنة . القاهرة .
- ٤ - البداية والنهاية لابن كثير . دار الفكر العربي القاهرة .
- ٥ - بنو إسرائيل في الكتاب والسنة د . محمد سيد طنطاوى .
- ٦ - تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار سويدان . بيروت .
- ٧ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى ط . الثانية ١٤٠٢ هـ - دار الفكر - بيروت .
- ٨ - تفسير البيغوى - معالم التنزيل الطبعة الثانية بهامش تفسير الخازن ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٩ - تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم الرازى المطبوع جزءان حققه وعلق حواشيه د . احمد عبد الله العماراتى الزهرانى ، ط . الأولى ١٤٠٨ هـ - مطبعة هجر . القاهرة .
- ١٠ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير علق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف صححه وأشرف عليه محمد الصديق ، ط ١٩٨٤ م مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة .
- ١١ - التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ط الثانية ١٣٩٦ هـ - دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
(٥ - حولية)

- ١٢ - تنوير الحوالك شرح موطا الامام مالك
لجلال الدين السيوطي . نشر دار الفكر . بيروت .
- ١٣ - تهذيب التهذيب لحافظ ابن حجر العسقلاني
نشر دار صادر . بيروت .
- ١٤ - الجامع لأخلاق الرأوى وأدب السامع ، للخطيب البغدادى
تحقيق د . محمود الطحان . نشر مكتبة المعرف . الرياض .
- ١٥ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى
حققه وعلق حواشيه محمود شاكر وراجعه وخرج أحاديثه أحمد
شاكر . ط الثانية . دار المعرف . مصر .
- ١٦ - جامع التحصيل لأحكام المراسيل لحافظ صلاح الدين العلائى
نشر وزارة الأوقاف العراقية . بغداد .
- ١٧ - الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للشعالى
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت .
- ١٨ - شرح علل الترمذى للأمام ابن رجب الحنبلى . دار المثنى بغداد .
- ١٩ - صحيح البخارى بشرحه فتح البارى لابن حجر العسقلانى
نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد . الرياض .
- ٢٠ - علوم الحديث لأبى عمرو بن الصلاح
نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- ٢١ - فتح المغيث شرح الفية الحديث لحافظ المخاوى
نشر دار الكتب العلمية . بيروت .
- ٢٢ - الكامل فى التاريخ لعز الدين أبى الحسن ، على الشيبانى بن الأثير
دار صادر بيروت .
- ٢٣ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن احمد بن جزى الكلبى
الغرناطى .

تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى وابراهيم عطوة عوض . دار
الكتب الحديثة .

- ٢٤ - لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن
ط الثانية ١٣٧٥ هـ مصطفى الحلبى . القاهرة .
- ٢٥ - مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان .
- ٢٦ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، لأبن عطية الأندلسى .
تحقيق وتعليق عبد الله ابراهيم الانصارى والسيد عبد نعال
السيد ابراهيم ط الاولى ١٤٠٢هـ ، مؤسسة دار العلم . الدوحة
قطر .
- ٢٧ - مسند الامام احمد بن حنبل ، تصوير تركيا من النسخة اليمانية
ط الحلبى . القاهرة .
- ٢٨ - معجم الدراسات القرآنية ، د. ابتسام مرهون الصفار
الطبعة الاولى ١٩٨٤ م مطبعة جامعة الموصل ، العراق .
- ٢٩ - معجم مصنفات القرآن الكريم ، د. على شواخ اسحاق
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ، دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض .
- ٣٠ - مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون
ط اولى ١٩٧٨ م ، دار القلم ، بيروت .
- ٣١ - مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ، تحقيق د. عدنان زرزور
ط الاولى ١٣٩١ هـ ، دار القرآن الكريم ، الكويت .
- ٣٢ - النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلانى
نشر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	مقدمة ١٩
	تعريف الاسرائيليات ٢٣
*	أنواع الاسرائيليات وحكم روایة كل نوع ٢٦
	كيف تسررت الاسرائيليات الى كتب التفسير ٣٠
	موقف علماء السلف والفكر المثقف المعاصر من وجود الاسرائيليات في كتب التفسير ٣٢
	نوع التفسير الذي دخلتها الرواية الاسرائيلية ٣٨
	النسبة المئوية للاسرائيليات الباطلة في كتب التفسير ٤١
	من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه ٤٣
	ضرورة الاعتذار ٤٤
	ما يمكن أن يعتذر به ٤٦
	تنبيهات ٥٥
	ضرورة تنقية كتب التفسير من الامراض الاسرائيليات الباطلة ٦١
	الاسلوب الأمثل في تنقية كتب التفسير من الاسرائيليات الباطلة ٦٣
	الخاتمة ٦٣
	ثبات المصادر والمراجع ٦٥
	فهرس الموضوعات ٦٨